عبيدِ اللهِ بن عمر عن عبد الله بن دينار عن ابنِ عمر[١] .

وروىٰ المؤمَّلُ هذا الحديثَ عن شعبةَ فقال شعبةُ : « وددتُ أنَّ عبدَ الله بنَ دينار أذِنَ لي حتىٰ كنتُ أقومُ إليه فأقبِّل رأسَه » .

اعلمْ أنَّ الترمذيَّ قسمَ ـ في كتابه هذا ـ الحديثَ إلىٰ صحيح ، وحَسنٍ ، وغَريبٍ . وقد يجمعُ هذه الأوصافَ الثلاثةَ في حديثٍ واحدٍ ، وقد يجمعُ منها وصفينِ في الحديثِ ، وقد يفرِدُ أحدَها في بعضِ الأحاديثِ .

○ بدءُ ابتكارِ هذا التَّقسِيمِ ○

وقد نَسبَ طائفةٌ من العلماءِ التِّرمذيَّ إلىٰ هذا التفردِ بهذا التقسيمِ[٢] ، ولا شكَّ أنه هو الذي اشتَهَرتْ عنه هذه القسمةُ .

وقد سبقَهُ البخاريُّ إلىٰ ذلكَ ، كما ذكره الترمذيُّ عنه في كتاب العللِ[٣] أنه قال [ظ ـ ١٥٢] في حديثِ البحرِ : « هو الطَّهورُ

---

(١) قوله « هكذا » إلىٰ هنا سقط من ظ . وسقط « عن عبد الله بن دينار » من ب .

(٢) منهم ابنُ تيميةَ علىٰ ما نقلَ عنه القاسميُّ في كتابه « قواعدِ التحديثِ » ص١٠٣ ونجيب عنه بأنه لعلَّه أرادَ أن الترمذيَّ أوَّلُ من قسمَ الحديثَ هذا التقسيمَ الثلاثيَّ في التأليفِ ، لأنه لم يُصنَّف قبلَ الترمذيِّ كتابٌ قُسمَتْ أحاديثُهُ هذه القسمة التي أجملها الحافظُ ابنُ رجب .

(٣) « فيما ذكره عنه في كتاب العلل » ظ وب .

ماؤُه » : «هو حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ»[١] ، وأنه قال في أحاديثَ كثيرةٍ : « هذا حديثٌ حَسَنٌ » .

وكذلكَ ذكرهُ ابنُ أبي حَاتِم عن أبيهِ أنه قال في حديثِ إبراهيمَ بن أبي شيبانَ عن يونسَ بن ميسرةَ بن حَلْبَس[٢] عن أبي إدريسَ عن عبدِ اللهِ بن حَوالَة عن النبيِّ ﷺ : « تُسْتَجْندونَ أجناداً . . » الحديث[٣] . قال : « هو صحيحٌ حَسَنٌ غريبٌ » .

وقد كانَ أحمدُ وغيرُه يقولونَ : « حديثٌ حَسَنٌ[٤] » .

---

(١) أخرجه الأربعةُ : أبو داود ج١ ص٢١ والترمذي وقال : حَسَنٌ صحيحٌ ج١ ص١٠١ ، والنسائيُّ ج١ ص١٧٦ وابن ماجَهْ ج١ ص١٣٦ .

انظر شرحَ الحديث والإحالةَ لمراجعه وبيان طرقه في كتابنا « إعلام الأنام شرح بلوغ المرام » ١/ ٣٨ وفيه النقل عن البخاري أنه قال : « حديثٌ صحيح » ولينظر قول البخاري في الحديث « حسن صحيح » لعله في أصل « العلل الكبير » الذي رتبه أبو طالب القاضي .

(٢) بمهملتين في طرفيه وموحدة ، وزن جعفر ، وفي ب « حليس » وهو تصحيف .

(٣) الحديثُ في فضل سُكنىٰ الشام أخرجه بمعناه أبو داود في أول الجهاد ، ج٣ ص٤ ، وأحمد في « المسند » ج٤ ص١١٠ ، وج٥ ص٣٣ و٢٨٨ من طرقٍ غير طريق أبي إدريس الذي ذكره الشارح . ووقع في ظ وب « ستجندون . . » .

(٤) وقال الترمذيُّ في حديثِ المستحاضةِ الذي سبقت الإشارةُ إليه ص٣٢٩ قال : « وسألتُ محمداً عن هذا الحديثِ فقال : هو حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، هكذا قال أحمدُ بن حنبل : هو حديثٌ حسنٌ صحيحٌ » انتهىٰ .

والأمثلةُ لقولِ المتقدِّمين قبلَ الترمذيِّ : « حسن » و« حسن صحيح » ، ونحو ذلك كثيرةٌ .

وكانوا يستعملونَ التقسيمَ الثنائيَّ « صحيحٌ » ، « ضعيفٌ » كما يشيرُ إليه كلامُ الحافظِ الآتي . =

وأكثرُ ما كانَ الأئمةُ المتقدمونَ يقولونَ في الحديثِ : إنه صحيحٌ أو ضعيفٌ . ويقولونَ : منكرٌ ، وموضوعٌ ، وباطلٌ .

وكانَ الإمامُ أحمدُ يحتَجُّ بالحديثِ الضعيفِ الذي لم يردْ خلافُه ، ومرادُه بالضعيفِ[١] قريبٌ من مرادِ الترمذيِّ بالحسنِ[٢] .

وقد فسَّرَ الترمذيُّ ههنا مرادَه بالحسَنِ ، وفسَّرَ مرادَه بالغريبِ ، ولم يفسِّر معنىٰ الصحيحِ .

ونحنُ نذكرُ ما قيلَ في معنىٰ الصحيحِ أولاً ، ثم نشرحُ ما ذكرَه الترمذيُّ في معنىٰ الحَسَنِ ، والغريبِ ، إن شاءَ الله تعالىٰ .

* * *

= وأوَّلُ من عرفنَاهُ استعملَ هذا التقسيمَ الثلاثيَّ واصطلاحاتِه التي استعملها الترمذيُّ هو عليُّ بنُ المدينيِّ ، قال الحافظُ ابن حجر في « نُكته علىٰ ابنِ الصَّلاح » :

« قد أكثرَ عليُّ بن المديني من وَصْفِ الأحاديثِ بالصِّحَّةِ والحُسنِ في مسندِه وفي عِلَلِهِ ، وكانَ الإمامَ السابقَ لهذا الاصطلاحِ ، وعنه أخذَ البخاريُّ ويعقوبُ بن شيبةَ وغيرُ واحد ، وعن البخاريِّ أخذَ الترمذيُّ » « قوتُ المغتذي » للسيوطي ج١ ص٨ .

وبهذا نعرفُ شيئاً من أثر الترمذيِّ في تقدُّم علومِ الحديثِ ودِقَّةِ تقسيمه ، حتىٰ أصبحَ تقسيمُه أصلاً يبني عليه علماءُ أصولِ الحديثِ دراسةَ أنواعِ الحديثِ من حيثُ القبولُ أو الرد .

(١) قوله « بالضعيف » ليس في ب .

(٢) قولُ الحافظِ ابن رجب هذا خلافُ ظاهرِ اصطلاحِ المحدِّثين . وقد حققنا المسألة في كتابنا « منهج النقد » ص٢٧٣ ، فارجع إليه لزاماً .

○ فَصْلٌ في الصَّحيحِ مِنَ الحديثِ وما يتفرَّعُ علىٰ شروطِهِ ○

أما الصَّحيحُ منَ الحديثِ :

وهو الحديثُ المحتَجُّ به ، فَقدْ ذَكرَ الشافعيُّ رحمهُ اللهُ شروطَهُ بكلامٍ جامعٍ .

قال الرَّبيعُ : قالَ الشافعيُّ[١] : « ولا تقومُ الحُجَّةُ بخبرِ الخاصَّةِ حتىٰ يَجمعَ أموراً[٢] .

منها : أن يكون مَنْ حدَّثَ به ثقةً في دينِهِ ، معروفاً بالصِّدقِ في حديثِهِ ، عاقلاً لما يحدِّثُ به . عالماً بما يُحِيلُ معانيَ الحديثِ من اللَّفْظِ .

أو أن يكونَ ممن يؤدِّي الحديثَ بحروفِهِ كما سمِعَه ولا يحدِّثُ به علىٰ المعنىٰ ، لأنه إذا حَدَّثَ به[٣] علىٰ المعنىٰ وهو غيرُ عالمٍ بما يُحِيلُ معناهُ لم يدْرِ لعلَّهُ يُحيلُ الحلالَ إلىٰ الحرامِ ، وإذا أدّىٰ بحروفِهِ لم يبقَ وجهٌ يُخافُ فيه إحالةُ الحديثِ .

---

(١) في « الرسالة » ص٣٧٠ ـ ٣٧٢ وهذا أقدمُ تعريفٍ مدوَّن يصلُنا للحديثِ الصَّحيحِ ، وكأنَّ العلماءَ بنوا عليه تعريفَهم للصحيحِ فاختصروهُ في عبارتهم المشهورة في الصَّحيح : « هو الحديثُ الذي اتَّصل سَندُه بنقل العدلِ الضابطِ عن مثلِه من أوَّل السندِ إلىٰ منتهاه ولم يكنْ شاذاً ولا مُعلاً » فإنه يتناولُ ما فصَّله الشافعيُّ كما سيوضحه الحافظُ ابنُ رجب ، وتجد زيادةَ فائدةٍ عليه في كتابنا « الإمام الترمذي » ص١٦٠ وانظر ص١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٢) قوله « أموراً » سقط من ب .

(٣) « به » ليس في ظ وب .

حافظاً إن حَدَّثَ من حِفْظه ، حافظاً لكتابِه إن حَدَّثَ من كتابِه .

إذا شَرِكَ أهلَ الحفظِ في الحديثِ وافقَ حديثَهم .

بَرِيّاً من أن يكونَ مدلِّساً يحدِّثُ عمن لقيَ ما لم يسمعْ منه أو يحدِّث عن النبيِّ ﷺ بما يحدِّثُ الثقاتُ خلافَه[١] ، ويكونُ هكذا مَنْ فوقَهُ ممن حَدَّثَهُ حتىٰ يُنْتَهىٰ بالحديثِ موصولاً إلى النبيِّ ﷺ ، أو إلىٰ من انْتُهِيَ به إليه دونَه ، لأنَّ كلَّ واحدٍ مُثْبِتٌ [آ ـ ٧٥] لمن حَدَّثه ، ومثبِتٌ علىٰ مَنْ حَدَّثَ عنه » .

قال[٢] : « ومن كَثُرَ غلطُه من المحدِّثين ولم يكنْ له أصلُ كتابٍ صحيحٍ لم نقبلْ حديثَهُ ، كما يكونُ مَنْ أكثرَ الغلطَ في الشهاداتِ لم نقبلْ شهادَتَه » .

قال[٣]: «وأقبلُ الحديثَ حدَّثني فلانٌ عن فلان إذا لم يكن مُدلِّساً، ومَنْ عَرَفناهُ دلَّسَ مرَّة فقد أبانَ لنا عورَتَه في روايتِه ، وليست تلكَ العورةُ بكذبٍ فيُرَدَّ بها حديثُه ، ولا علىٰ النَّصيحةِ في الصِّدقِ فنقبلَ منه ما قَبِلنا من أهلِ النصيحةِ في الصِّدقِ ، فقلنا : لا نقبلُ[٤] مِنْ مُدَلِّسٍ حديثاً حتىٰ يقولَ : حدَّثني أو سمعتُ » .

فقد تضمَّنَ كلامُه رحمهُ اللهُ أنَّ الحديثَ لا يُحتَجُّ به حتىٰ يجمَعَ رواتُه[٥] من أوَّلِهم إلىٰ آخرهم شروطاً :

---

(١) « بخلافه » ظ وب ، والمثبت موافق « للرسالة » .

(٢) في « الرسالة » ص٣٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص٣٧٣ ، و٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

(٤) « يُقبل » ب بصيغة المبني للمجهول ، وهكذا فيها العبارات السابقة .

(٥) « رواتهم » ب سهو قلم .